

كشف الحقائق في البيعة لعلي الرضا للكرّم محمد ضيف الله بطاينه (جامعة اليرموك / الأردن)

... جعل هارون الرشيد الخلافة من بعده في ولده، ورتبها فيهم
بترتيب البيعة لهم، فعتقها أولا لمحمد الأمين، ثم عقدها لعبد الله المأمون، ثم
عقدها للقاسم المؤتمن. فقال بعض الناس : أحكم الرشيد أمر الملك. وقال
بعضهم بل القى بأسهم بينهم (١) .

ولما أدركت المنية هارون الرشيد، نودي بالأمين خليفة للمسلمين،
فبايعوه وبايعه أخوته، وبايعه المأمون الذي كانت إليه أمور خراسان منذ
خلافة والده . إلا أن أيام الصفاء بين الأمين والمأمون لم تدم، واخذت حاشية
كل منهما تزين لصاحبها الكيد لأخيه، وأسفرت المحاولات التي كانت
ترمي إلى الإيقاع بينهما إلى إعلان الأمين عقد البيعة بالخلافة
لولده من بعده ، والغاء عقد بيعة أخيه المأمون، ودق طبول الحرب بينهما،
ثم أعلن خلع الأمين والدعوة للمأمون بالخلافة في خراسان (٢). وهاجت
الحرب بين الأخوين، وسيقت الجيوش إلى ميادين القتال تباعا، ثم قُتل الأمين،
وخلّص الملك سنة ١٩٨ هـ للمأمون، ومضى يصرف أمور الدولة من مرو،
حاضرة خراسان، وترك بغداد وغيرها من البلدان إلى نظر الحسن بن سهل

١ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . تحقيق محمد أبو
الفضل ، ١٩٦٦ .

٢ - المصدر نفسه ص ٤٠٤ - ٤١١ .

أخي وزيره ومدبر أمره في خلافه مع الأمين ، الفضل بن سهل .

لم تهدأ الأحوال بعد مقتل محمد الأمين، وظلّت الفوضى قائمة وثورات السخط والغضب تتفجر من بلد إلى بلد، ثم حملت الأخبار قرار المأمون بجعل علي بن موسى ابن جعفر العلوي وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعده، وتسميته الرضا من آل محمد، ومطالبة الجند بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة. ثم وردت الكتب بذلك إلى الآفاق، وطلب إلى الولاة أن يأخذوا البيعة له على الناس، وأن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة المأمون (٣) . فلما كان ذلك ، أتى بني العباس ما كان يحذرون .

فلماذا أراد المأمون أن ينقل الخلافة من بني العباس إلى عبد المطلب إلى بني علي بن أبي طالب ؟

وهل كان المأمون جاداً في قراره ؟

كانت هذه المبادرة لا مثيل لها في تاريخ العلاقات العباسية - العلوية من قبل. وقد سبق المأمون إليها غيره ممن تقدم عليه من خلفاء بني العباس. ويقول ابن الطقطقي بخصوص ذلك (٤) : « ومن اختراعاته — يعني المأمون — نقل الدولة من بني العباس إلى بني علي، عليه السلام » .

تناولت الأخبار التاريخية « اختراع المأمون » بالتحليل ، وقدمت ما رآته من الدوافع التي أدت إلى اتخاذه، وجعلت المأمون يُقدّم عليه . وسنتناول هذه الأخبار على النحو التالي :

أولاً : الأخبار التي تذكر أن سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود

٢ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ ، الكندي / ولاة مصر ص ١٦٨ . تحقيق حسين نصار ١٩٥٩ ، ابن المبراني / الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ . تحقيق قاسم السامرائي، لايدن ١٩٧٢ م .

٤ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ طبعة القاهرة ١٩٢٢ .

الى تتوى عليّ وعلمه وورعه وفضله على آل عليّ وآل العباس سواء .

قال أبو جعفر الطبري : « وذلك انه — يعني المأمون — نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا أعلم منه » . (٥)

وقال المسعودي : « ... إنه نظر في وُلد العباس ووُلد علي، رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته احدا هو افضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد » (٦) .

وجاء في أخبار مسكويه : « نظر المأمون في بني العباس وبني علي فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا أعلم من علي الرضا، فوله عهده وسمّاه الرضا من آل محمد » (٧) .

ويبدو أن تعيين علي الرضا وليا للعهد لعلمه وورعه وتقدمه في الفضل على بني علي وبني العباس غير مقبول ، إذ يبدو أن هذه الأخبار تحمل في ثناياها دعاوى امامية قد لا يكون المأمون مؤمنا بها، ولا ندري كيف وقع للمأمون أن علي بن موسى افضل هؤلاء. وقد شك ابن الطقطقي (٨) في اختيار المأمون لعلي بن موسى وليا للعهد لصالح علي، فقال : « إن المأمون قد فُكّر في حال الخلافة بعده، وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرا ذمته ، كذا زعم » .

وقال القمي : لم يكن — يعني المأمون — يرمي الى أن يتم العهد

٥ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ .

٦ — المسعودي / مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧ — مسكويه / تجارب الامم ص ٢٣٦ . مجلد مطبوع ملحق بكتاب العيون والحدائق مكتبة المثنى — بغداد .

٨ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

للرضا (٩) .

ثانيا : الاخبار التي تذكر أن سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود الى وفاء المأمون بالنذر الذي نذره على نفسه إن انتصر على أخيه الأمين .

قال الأصفهاني : « قال المأمون : اني عاهدت الله أن اخرجها الى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع » وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل . (١٠)

وساق القمي حديثا طويلا مفاده : ان المأمون عيّن علي بن موسى خليفة من بعده وفاء لما عاهد الله عليه إن نصره على أخيه الأمين ، وافضت الخلافة اليه ، أن يضعها في موضعها الذي وضعه الله تعالى ، فلما تم الأمر للمأمون ، لم ير أحدا أحق بالخلافة من أبي الحسن علي الرضا (١١) .

وتبدو بوضوح ، من خلال ربط النصر بالنذر ، ميل رواة الخبر الشيعية ؛ وهذا مما لا يقوم به سبب مقنع في اختيار المأمون عليا لولاية العهد وجعله سري الخلافة محكوما بالنذور .

ثالثا : ذكر القفطي (١٢) في اخبار الحكماء أن المأمون لما رأى آل علي بن أبي طالب متخشين متخفين من خوف أبي جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء من بني العباس ، ورأى العوام قد خفيت عنهم أمور العلويين بالاختفاء ، فظنوا بهم ما يظنون بالانبياء ويتقوهون في صفتهم ما يخرجهم عن الشريعة من التغالي ، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ، ثم فكر أنه إذا

٩ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط - دار الكتب القاهرة رقم ٢٢١٢ .

١٠ - الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٢ طبعة القاهرة ١٩٤٩ .

١١ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٨ ، ١٨١ مخطوط .

١٢ - القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٩ - ١٥٠ ، دار الكتب الخديوية / القاهرة - الطبعة الاولى .

فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به، فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا، ورأى أن يقدم احد العلويين للحكم ويظهرهم للناس، فيرى الناس فسق الفاسق منهم وظلم الظالم، فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء، فيسقطوا من أعين الناس وينقلب شكر الناس لهم ذمًا .

وأورد القمي خبرا شبيها بالذي أورده القفطي ، قال القمي : « إن المأمون جعل لعلي بن موسى ولاية العهد من بعده . . ليرى الناس رغبته في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم » (١٣) .

وقد يكون ما أورده القمي والقفطي سببا لقصة البيعة لعلي بن موسى، لا يعدو أن يكون تفسيرا منهما لقضية البيعة. وإلا فإن علي بن موسى لم يكن إماما لكل العلويين (١٤) وإنما كان إماما لفئة منهم. وعندما قامت ثورات العلويين في البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن (١٥)، لم تختصر واحدة من هذه الثورات عليا رئيسا لها، وإنما اختارت غيره؛ وإذا كان المأمون أراد بفعلته أن يفضح العلويين المتخفين ويكشفهم أمام المخدوعين بهم ويمزق أستار القداسة المضروبة عليهم، فإن المأمون يكون قد فاته هذا الغرض، لأن الناس خبروا الذين ثاروا من العلويين وصارت اليهم مقاليد الأمور، وعرفوا ما كان منهم من خير أو شر ، وإضافة الى ذلك فقد قيل في علي بن موسى إنه لم يكن له من أمور الحكم شيء .

رابعاً : قيل إن المأمون كان يتشيع للعلويين؛ وقد حملته افراطه في التشيع على مبايعة علي بن موسى بولاية العهد .

١٣ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

١٤ - انظر محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٨ ، ٩ . مخطوط .

الحسن النويختي / فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة استنبول ١٩٣١ م .

سعد القمي ، المقالات والفرق ص ٨٩ . طبعة طهران ١٩٦٣ .

١٥ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٢٨ - ٥٤٤ .

قال القمي : « قال المأمون اندرون من علمني التشيع ... علمني به
الرشيد » قيل له: وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال كان
يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم » . (١٦)

وذهب الى ذلك السيوطي قال : « وجعل — المأمون — ولي العهد
من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حملة على ذلك
امراطه في التشيع، حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الامر
اليه » . (١٧)

وبخصوص هذا التشيع الذي رمي به المأمون، فيبدو ظاهره المتمثل
بالبيعة لعلي بن موسى متهوما ومتهم باطنه كذلك ، لما روي عن علي بن
موسى أنه كان يحدث أصحابه الذين يثق بهم عن المأمون واحاديثه في إمامة
علي بن أبي طالب وتفضيله عن سواه، ويقول لهم : « لا تغتروا منه بقوله،
نما يعتلي والله غيره » (١٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه عن المأمون أنه سأل علي الرضا عن سبب
دعواهم امر الخلافة، فلما أجاب علي أن ذلك كان بقرابة علي بن أبي طالب
وناطمة من الرسول عليه السلام، قال المأمون :

« إن لم يكن هاهنا إلا القرابة فقد خلف رسول الله من أهل بيته
من كان اقرب اليه من علي أو من في مثل تعدده — نسبه — وان كان بقرابة
فاطمة من الرسول، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في
هذا الامر حق وهما حيّان ؛ فإذا كان الامر كذلك، فإن عليا قد ابتزهما حقهما
وهما صحيحان، واستولى على ما لا يجب عليه » (١٩)

١٦ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ٢٤ مخطوط .

١٧ — السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ . الطبعة الاولى ١٩٥٢ م تحقيق محمد محيي الدين .

١٨ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ١٩٦ مخطوط .

١٩ — ابن عبد ربه / العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

وهذا دليل ، ان صحت هذه الروايات ، على ان المأمون لم يصدر فيها
اتخاذ عن نفس مطمئنة بالتشيع للعلويين .

واضافة الى ذلك فان القفطي يذكر ان المأمون كان ينوي بعد قضاء
غرضه من البيعة لعلي بن موسى، ان يرد الأمر الى حالته الاولى « . (٢٠)
يتضح مما سبق ان المأمون لم يكن جادا في البيعة لعلي بن موسى
واتهامها له، وانما يبدو ان في الأمر لسرا ، وان البيعة لا تخلو من غرض، وقد
يجلبها لنا تتبع الاحوال العامة التي واكبت حادثة البيعة، والخاتمة التي
انتهت اليها .

اما فيما يتعلق بالاحوال العامة فلا يمكن إغفال الخلاف الذي دار بين
الامين والمأمون، والاطراف التي شاركت فيه وصنعت رغبة منها بالسلطان
والاستبداد به وتعزيز تسلطها والانفراد به ؛ وقد صار قتل الامين وقيام
المأمون بأمر الخلافة انتصارا ضمنيا للاتجاه الذي كان يقف وراء المأمون،
ويتستر به، ويقف الفضل بن سهل واعوانه على راسه ، وهزيمة للاتجاه
الثاني الذي كان يقف وراء الامين ويراسه الفضل ابن الربيع .

إلا ان بقاء المأمون في مرو، حاضرة خراسان، بعيدا عن بغداد دار خلافة
آبائه ، اعطى من حوله مركزا افضل، وعزز موقعهم في الدولة، وصار لهم
القول والفصل في امور الدولة ومصالح الناس، وفاز الفضل بن سهل
بالنصيب الاوفى من ذلك، فصارت اليه الرياستان — الحرب والتدبير — وله
مرتبة من يقول فيسمع منه . (٢١)

كان ذلك تعقيا على سلطان الخليفة المأمون، مارسه هؤلاء من خلال
الدالة التي اوجبوها على المأمون، الذي يقيم في خراسان بين انصاره — من

٢٠ — القفطي / اخبار العلماء بلغبار الحكماء ص ١٥٠ .

٢١ — الجهني / الوزراء والكتب ص ٢٠٥ — ٢٠٦ الطبعة الاولى ١٩٢٨ مكتبة البابي
الحلي / القاهرة .

أخواله الذين ساقوا اليه الخلافة بتدبير عقولهم وحدّ سيوفهم ، وقدضخّمت
الدعاية والاعلام مدى ما وصل اليه هؤلاء من النفوذ،حتى قيل إن المأمون
وقع تحت نفوذ الفضل بن سهل،وإن الفضل قد استولى عليه (٢٢) وصار
ما يُلزم من أمر ويتخذ من قرار تنسبه الأوساط العامة والخاصة في بغداد
غالبًا الى الفضل بن سهل ،وقد يكون من هذا القبيل ما تُسبب الى الفضل
ابن سهل من شعر يذكر فيه فضل اهل خراسان على المأمون ونصرتهم
له في سوق الملك اليه،قال : (٢٣)

ان مأمون هاشم أصله مكـ ة منها آباؤه وجدوده
غير أنا نحن الذين غزونا . بماء الملا فأورد عوده
من خراسان اتبع الامر فيهم وتوثقت للناظرين بروده
قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريفه وتليده
مثلنا لا يراه ما برق الصبـ ح وشقّ الظلام منه عوده
ويبدو ان هذا الشعر قيل على لسان الفضل لاثارة الشك في نفس
المأمون،وتحريضه على من حوله واستعدائه على وضعه بخراسان .

واذا اضفنا الى تسلط أعوان المأمون من خلال الدالة عليه ، صدى
قتل الامين واستنكار اهل بغداد ، بخاصة ، ذلك ، وتوجيه اللوم الى
المأمون (٢٤) ، تبين لنا مقدار الضيق والعنت الذي كان يواجهه المأمون في
إقامته بمرور .

٢٢ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا
ص ١٧٥ ، ١٨٥ مخطوط .

٢٣ - المرزباني / معجم الشعراء ص ١٨٢ .

٢٤ - نكر الجهشيارى ان الفضل بن سهل قال لما قتل طاهر بن الحسن الخليفة الامين : ما
فعل بنا طاهر ؟ سلّ علينا سيوف الناس والسنتهم . انظر : الجهشيارى / الوزراء
والكتاب ص ٢٠٤ .

ثم استغل العلويون الفرصة، واشعلوا الثورات في المدن المختلفة من العراق والحجاز واليمن ؛ كذلك واصل الاتجاه المعارض للمأمون والذي كان مؤيدا للأمين، نشاطه وتجرا من اختفى من رجاله، مثل الفضل بن الربيع أيام قتل الأمين على الظهور والانضمام الى صف المعارضة، وتحذوا الحسن ابن سهل، مثل المأمون في بغداد، ووقعت الحرب بين الجانبين. وقد تمكنت المعارضة في فترة تالية من طرد الحسن وطرد عماله . (٢٥)

فما عسى المأمون يفعل ازاء ما كان يجري حتى يعيد للخلافة قوتها ونفوذها، وتصبح قادرة على مباشرة صلاحياتها، وكفّ الاعتداء على سلطانها ؟

تذكر الاخبار ان المأمون في غمرة الاحداث الجارية انفذ من خراسان رجلين من اهل ثقته، هما رجاء بن أبي الضحاك وفرناس الخادم، وأمرهما ان يأتيا المدينة المنورة، ويحضرا علي بن موسى بن جعفر ؛ فلما حضرا ، عقد المأمون البيعة بالمعهد له (٢٦) ، وأعلن ذلك في الافاق .

ويبدو من صدور قرار المأمون في الظروف الآتفة الذكر ما لا يدع مجالا للشك في ارتباط هذا القرار بما كان يجري من حول المأمون، وعلاقته بالموقف السياسي آنذاك . لذلك سنتابع التطورات التي طرات بعد اعلان البيعة لعلي بن موسى، لما لها من دور ايجابي يُعَيَّن على توضيح غرض المأمون ومغزاه من البيعة لعلي، وسنتناول في مجرى التطورات موقف الفضل بن سهل واهل بغداد، باعتبارهما يمثلان اتجاهين رئيسيين متعارضين في الخلاف

٢٥ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٨ .

٢٦ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٤٨ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٤ .

ابن العبراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ . المكتبة التجارية / القاهرة ١٢٥٧ هـ .

تحقيق عبد الوهاب النجار .

ومما يلفت النظر أن مقرّ الخلافة ، واين يكون ، كان واحدا من أبرز مسائل الخلاف بين الاتجاهين، واعطاء كل جانب أهمية كبيرة في اتجاه تقرير مصير الخلاف . ويبدو أن الفضل بن سهل رأى أول الأمر أن البيعة لعلّي ابن موسى تخدم غرضه في بقاء المأمون في مرو بعيدا عن بغداد، لذلك أظهر رضاه عن البيعة. وهو ما يفسر لنا الروايات التي تذهب إلى القول بأن الفضل بن سهل زينّ للمأمون البيعة لعلّي بن موسى الرضا (٢٧) .

أما فيما يتعلق بأهل بغداد فقد تلقى أغلبهم إعلان البيعة بالسخط والانكار، وكان بنو العباس أشدهم في ذلك نكيرا ، واتهموا الفضل بن سهل بحمل المأمون على اتخاذ القرار، ونعتوا الفضل بالمجوسي ابن المجوسي، وقالوا فيه إنه يحتال في جعل الملك كسرويا، وأنه زينّ اتخاذ لباس الخضر، وهي لباس كسرى والمجوس ، فأدار العباسيون في بغداد الأمر بينهم وأعلنوا خلع المأمون والبيعة لأبرهيم بن المهدي (٢٨) .

أخذت ردود الفعل تبلغ مسامع الفضل بن سهل ، فأسقط في يده ، وصارت تسيأوره المخاوف والشكوك ، وبدأ يلتمس خطورة قرار البيعة الذي اتخذته المأمون عليه ، فصار يحاول جاهدا تعمية الأخبار على المأمون ومنع وصولها إليه، وينزل صنوف العذاب بمن يبلغه عنه أنه دخل عند المأمون بهذا الوجه ، وقد اتهم بقتل القائد المشهور هرثمة بن أعين الذي قيل إنسه

٢٧ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ . ابن بابويه القمي / عيون

أخبار الرضا ص ١٧٥ مخطوط . ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

٢٨ - انظر من أجل ذلك : الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ .

أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ .

جاء من بغداد الى المأمون في مرو ليطلعه على حقيقة ما يجري من الشكوى ضد الفضل بن سهل واعوانه ، وما يخوض الناس فيه، وليردّه السى بغداد . (٢٩) كما اخذ الفضل يتغيّر لعلي بن موسى وبقيم عليه المراد للوقوف على اخباره (٣٠) .

اما فيما يتعلق بعليّ بن موسى فان الاخبار تشير الى انه كان قد اوجس خيفة من مراودة المأمون اياه على البيعة له، وانه اقتيد الى ذلك اقتيادا، فيذكر القمي انه لما اراد المأمون علي بن موسى على البيعة اعتلّ علي بعطل كثيرة (٣١)، ويقول ابن العمراني إن علي بن موسى قال للمأمون: يا امير المؤمنين : إن هذا الامر لا يتم، فاعفني، فلم يُعفِه (٣٢) . وكان علي ابن موسى يشعر بالضيق خلال وجوده في مرو مع المأمون والفضل بن سهل، وتفتابه حالة من الشك والقلق، وتستبد به الظنون، وكثُر ما نسب اليه سؤال المأمون بالرجوع الى بغداد تخلّصا مما يجري (٣٣) .

اما المأمون فقد ظل يرقب ردود الفعل، وينظر درجة التطورات التي وصلت اليها ، فلما اطمأن الى رغبة القادة الملحة من حوله في العودة الى بغداد ، وضعف مركز الفضل بن سهل واعوانه ، الى حدّ وضعه في قفص الاتهام وتجريمه ، ونظرة اهل بغداد الى اقامة الخليفة بينهم نظرة المتمني، وبرمهم بالفوضى التي عموا بها ، وخوف بني العباس من انتقال الملك عنهم خوفا انسأهم قتل الأمين ، اعلن الرحيل من مرو خراسان صوب بغداد .

٢٩ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣٠ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٩ . ومواضع متفرقة - مخطوط .

٣١ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط .

٣٢ - ابن العمراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

٣٣ - مسكويه / تجارب الامم ص ٤٤١ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٢

مخطوط . ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٦٤ .

تقدم الفضل بن سهل الى المأمون ينصحه بالعدول عن الرحيل،
ويعرض عليه موانع ذلك، ويذكره بقتل اخيه الامين ومعاذاة اهل العراق له،
والبيعة لعلي بن موسى، وازالة الخلافة عن بني ابيه بني العباس وتغيير
قلوبهم له؛ ولكن المأمون اعرض جانباً عن نصائح وزيره، وطلب اليه ان
يستعدّ للرحيل معه الى بغداد. فلما رأى الفضل بن سهل ان المأمون جاد في
الامر . اعتذر الفضل الى المأمون عن المسير معه وقال :

« يا امير المؤمنين إن ذنبي عظيم عند اهل بيتك وعند العامة ، والناس
يلومونني بقتل اخيك المخلوع وبيعة الرضا، ولا آمن السعاة والحساد واهل
البغي ان يسعوا بي، فدعني اخلفك بخراسان »، فلم يوافق المأمون، واعلمه
عدم استغاثته عنه وليس من هناك الا الثقة المأمون الناصح (٣٤) .

ويبدو ان ليس ادل على مدى التوفيق الذي بلغه المأمون في البيعة
لعلي بن موسى من هذا الحال الذي حار اليه الفضل بن سهل من ضعف
الحوول وقلة الحيلة . فلما بلغ المأمون ببعض الطريق . قيل في سرخس :
« قتل الفضل بن سهل ، فاتهم المأمون بقتله » . (٣٥) وقيل ان القتلة قالوا للمأمون
عند مثلهم بين يديه : انت امرتنا بقتله (٣٦) .

ولما بلغ المأمون مدينة طوس . مات علي بن موسى . قيل في اكناره
من اكل العنب (٣٧) وقيل في السم (٣٨) وقيل اعتلّ اسابيع ومات (٣٩) .

٣٤ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٤ مخطوط .

٣٥ - المصدر نفسه ص ١٨٤ .

٣٦ - ابن الطنطاقي / الفخري ص ١٩٢ .

٣٧ - المسعودي / المروج ص ٤ ص ٢٨ .

٣٨ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ص ٢ ص ٤٥٢ .

الاصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

٣٩ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ص ٢ ص ٤٥٢ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

وتقدم المأمون نحو بغداد يزفّ نفسه اليها، بلا الفضل بن سهل، وبلا علي بن موسى ، ففتحت بغداد ذراعها له، وكان لسان حالها :

جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين ، مفتاح رحمة لك ، ولمن قدمت عليه من رعيتك ؛ فقد أشرقت البلاد حين حلتُ بها ، وآنس الله بقربك أهلها ، ونصبت الرعية اليك أعينها ، ومدت الى الله فيك ولك أيديها ، لتصيب من مقدمك عدلا يحييها ، ومن نيل يدك فضلا يغنيها . (٤٠)

ومكث المأمون أياما ببغداد، قيل ثمانية، وهو يلبس لباس الخضر، ولم يكن أحد يجتري أن يلبس شيئا من لباس السواد ؛ فلما رأى طاعة الناس له، طرح لباس الخضر وأمر بلباس السواد، وعمّ الناس بعفوه واحسانه (٤١)، ولم يعد الى تعيين ولي عهد علوي آخر .

وهكذا نرى تعيين علي بن موسى خليفة من بعد المأمون كان خطة ذكية، وعملا جريئا لتخليص الدولة من حمى الاتجاهات والاغراض السياسية المتضاربة، وانقاذ الموقف السياسي المضطرب، ولم يكن عملا جادا لنقل الخلافة عن بني العباس الى آل علي .

الدكتور محمد ضيف الله البطاينة

٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار الحسيني ،

٤١ و ٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار

الحسيني ،